



د. وليد أحمد السيد
sayedw03@yahoo.co.uk

صناعة التاريخ المعماري الحديث وخطوة عربية عالمية رائدة لتأسيس النقد ونقد الأسس

العاصمة البريطانية، وخلال زيارة للدكتور النعيم، جلسنا نتجاذب أطراف الحديث على هامش جلسة مسائية هادئة وناقش قضايا العمارة وهموم العمران في العالم العربي، وبخاصة أن الدكتور النعيم معروف في الأوساط المعمارية بإسهامات مهمة وكتابات دورية على صفحات البناء، وأسبوعية يناقش فيها قضايا جادة أيام السبت على صفحات صحيفة الرياض. وقد طفت على السطح سريعاً شجون تبعثر الجهود وتفتت المفاهيم وتشرذم أسس الخطاب المعماري العربي، ولم تلبث فكرة ضرورة إنشاء هيئة عربية عالمية جامعة للجهود أن تسيدت محور النقاش، تمثلت في إنشاء "هيئة نقاد العمارة العربية المعاصرة" كهيئة مستقلة غير ربحية من لندن. ■■

ربما يذكر التاريخ المعماري العربي الحديث يوم ١٧ سبتمبر من العام ٢٠١٠ كبادرة مرفوعة مفضلية في تاريخ الخطاب المعماري العربي المعاصر، وأنه يوم تأسيس هيئة معمارية عربية مهمة على مستوى عالمي مركزها لندن هي "هيئة نقاد المعماريين العرب". فذاك اليوم شهد تدين فكرة قديمة متجددة طرحها الصديق المفكر المعماري البروفسور مشاري بن عبد الله النعيم، أستاذ النقد المعماري بجامعة الملك فيصل بالدمام، بضرورة إنشاء "اتحاد عالمي للمعماريين العرب" يعمل كمظلة موحدة وإطار مهيمن على الجهود المبثورة والمتشظية في فضاء العمارة العربية المعاصرة وما يسود حالياً من ظاهرة "التفريد خارج السرب" الذي يمارس من قبل أفراد وجماعات، في قلب

خطوات جادة لرفع سوية الممارسة والخطاب والنقد المعماري العربي نحو مرحلة جديدة لازمة وحتمية لنهضة معمارية عربية شاملة على مشارف القرن الحادي والعشرين. وقد جرى التواصل مع شخصيات عربية لها وزن وحضور في المشهد الثقافي المعماري لرعاية ودعم الهيئة ورئاستها الفخرية وسيعلم عن ذلك في القريب وفي الوقت المناسب. ■■

هيئة نقاد العمارة العربية هي جامعة وإطار ناظم للجهود العربية وملتقى العقلية المستنيرة في تأصيل النقد الجاد والهادف لدفع عجلة البحث والتعليم والنقد وتمحيص الخطاب المعماري العربي السائد ودفعه نحو الإبداع والأصالة وتنقية فضاء العمارة العربية من التبعض والتشتت الذي يعاني منه. ولئن حفلت الساحة المعمارية بجهود معمارية "فردية" تمثلت بإسهامات روادها منذ فترة السبعينيات لبعض عمالقة العمارة العربية الحديثة لمجدديها وتأسيس فكر معماري متميز وهادف، إلا أن الكثير من النقاد والمتأملين للتاريخ المعماري الحديث يرى أنها كان يعيبها انحصارها ضمن جهود فردية. فكرة تأسيس هيئة نقاد العمارة العربية لتجاوز هذا البعد الفردي وتنحو باتجاه خطوة رائدة لتأطير الفكر المعماري بإطار "جماعي" وفكر مدرسي متكامل يسهم فيه نخبة من رواد العمارة العربية المعاصرين بتقديم وتشريع ومراقبة سير ووجهة العمارة والتأثير الإيجابي الفاعل في هذه الواجهة من خلال منشورات وكتابات وفكر يصدر عن مجلة متخصصة ودورية تابعة للهيئة تحرر وتصدر من لندن وتخطب المعماريين العرب وتتخطى الحدود الإقليمية والحواسر الضيقة والبيروقراطية المتكلسة والعقبة الأساس نحو الإبداع والتطور الذي يسود العالم العربي حالياً. فمشكلة العمارة العربية المعاصرة، فكرياً وتطبيقاً، أنها وقفت طويلاً عند كتابات عفا عليها زمن الخطاب المعماري وتكلست العقول عندها لأكثر من عقدين أو ثلاثة دون مساهمة أو تمحيص أو نقد أو إضافة أو تطوير، ومن جهة أخرى فقد وقفت أجيال من الطاقات الشابة من المعماريين أمام "رموز" قدمت مشكورة عطاءها في حقبة معمارية كانت مناسبة لزمناها وظرفها ومكانها، لكن دور "هيئة نقاد العرب" سيكون توفير "عوامل التفاعل" وحلقة الوصل بين فكر الخطاب المعماري في تاريخه الحديث وما نقله رموزه المعاصرين لجيل مقبل من المعماريين كي تنتقل مشاعر النهضة المعمارية بين الأجيال ولا تكلس عند فكر أو "أيقونات" معينة أكثر مما ينبغي!

تفاعل المعماريين من مختلف الأقطار وأنحاء العالم كان طيباً جداً ومبشراً بالخير والعطاء لهذه الفكرة بما يعطي فكرة عن الطاقات الكامنة والإبداعات التي تنتظر الأفكار الهادفة والجادة لإبراز هذه الهيئة إلى حيز الوجود من قبل أعضاء على اختلاف مواقفهم الأكاديمية والقطرية والعالمية بالترحيب بالإعلان عنها والانضمام لعضويتها التأسيسية بما يعطي مؤشرات إيجابية واعدة تبشر باستقبال واعد للعمارة العربية المعاصرة كحركة "جماعية" طال التنظير لها وانتظارها. ■■

العالم المتطور، ولها منطقاً وأمثلة وشواهد عديدة نرى أمثلها في الرياضات المختلفة العالمية، بدءاً من كرة القدم مروراً بالتنس وألعاب المهارات العقلية واليودية كرياضة "السنوكر". ففي الرياضة الأخيرة مثلاً هناك نخبة من ١٦ لاعباً في التصنيف العالمي يتم دعوتهم للمباريات الدولية بالإضافة لعدد مماثل من ١٦ لاعباً يدخلون بالتنافس كل دورة، لكن النخبة الأولى ليسوا دائمين بقدر فوزهم ونتائجهم كل سنة. وبغير ذلك يخرج عن "مجموعة النخبة الستة عشر" وكان عليه التنافس بغيره في العام القادم للحصول على مقعد ضمن الإثنى وثلاثين حتى يفوز بجوائز عالمية يؤهله بعدها رصيده من النقاط كي يكون ضمن الـ ١٦ الأولين. في كل أنواع الرياضة، وكذلك الجامعات العالمية كمثل أيضاً، هناك نظام قائم على "النقاط" لترتيب وتصنيف اللاعبين بناء على عطائهم السنوي لا بناء على تاريخهم واسمهم، وإلا لترجع منتخب البرازيل على عرش كرة القدم العالمي ولما تزحزح، ولترى أسماء بعينها، وأكل عليها الدهر وشرب، وللمها الناس من عرب ومن عجم، وهذه من أبرز آفات ما يجري في العالم العربي بمناحيه الفكرية والاجتماعية والسياسية وسواها، ومنها ساحة العمارة العربية المعاصرة.

ولذلك "فهيئة نقاد العمارة العربية" يمكن أن تشمل بأعضائها مجموعة من سبعة أو عشرة مثلاً هم "مجموعة النخبة" لهذه السنة بناء على "نظام نقاط" لتقييم إنتاجهم "النوعي" وليس "الكمي". وهؤلاء يتم عقد لقاء سنوي لهم في محفل يقره ميثاق الهيئة بشكل هذا المحفل قمة عطائهم واجتماعهم وتبادل آرائهم النقدية وطبع في نشرات أو مجلة خاصة بالهيئة توزع على المهتمين من طلبة وباحثين وأعضاء في هيئة النقاد. لكن "نخبة" هذه السنة قد لا تكون نفسها العام القادم فإلحاق مفتوح على الدوام للهيئة أن تمارس النقد على "غيرها"، أفراداً وجماعات أو أفكار، فأولى بها أن تكون هناك آلية فعالة كي تمارس النقد الذاتي أولاً!

وبالإضافة لهذه القائمة الأولية يتوجب فتح باب العضوية للمعماريين العرب لا بانتسابهم للهيئة مباشرة ولكن بانتسابهم للهيئات المحلية القطرية في بلدانهم والتي تنتسب لعضوية "هيئة نقاد العمارة العربية" وهي فكرة على غرار "اتحاد المعماريين العالميين" والتي نوقشت في موقع المهندسين العرب وكما طرحها الدكتور مشاري النعيم في تصوراته للفكرة أساساً، وبهذا تتجاوز "هيئة نقاد العمارة العربية" مشكلات البيروقراطية ومشاكل معيقة للتفرغ للإنتاج والعمل الهادف. وتعمل على رفق الفكر المعماري العربي وقضايا التخطيط والتصميم الحضري والحفاظ المعماري وصناعة وكتابة التاريخ المعماري المعاصر من خلال المقالات والأبحاث الجادة الرصينة ونشر الكتب المتميزة والمجلات المتخصصة. ويتبلور ميثاق الهيئة تبدأ الهيئة

سعيد الصقلاوي من السلطنة، وهو معماري قلب في عدد من المناصب الحكومية والخاصة منها رئاسة قسم التخطيط في بلدية مسقط بالسلطنة وله إسهامات فكرية وأدبية متميزة. والمعمار وائل المصري وهو خريج معهد ماساشوستس للتقنية لأطروحة متميزة في الماجستير حول الهوية الإقليمية للعمارة ومعمار بارز في فضاء العمارة العربية المعاصرة. والدكتور ياسر صقر وهو من خريجي معهد ماساشوستس للتقنية بأمريكا أيضاً وجامعة بنسلفانيا، وأسماء أخرى متميزة تم التواصل معها لدعوتها للهيئة لهم إسهامات في فضاء العمارة العربية المعاصرة. وبالنظر لما يجري في فضاء العمل الأكاديمي والبحثي والمهني العربي للعمارة المعاصرة من ركود، نسبي أو مطلق، أرى أن "هيئة نقاد العمارة العربية" إن كان لها أن تنطلق وبحضور فاعل وواعد فلا بد لها أن تثبت من رؤية ثابتة تحررها من آفات التوقع عند المظهر دون الجوهر. ولذلك فالأسماء الأولية المقترحة، ودون التقليل من أهميتها وشأنها أو شأن غيرها في الساحة الحالية، ينبغي ألا تقف الهيئة الأولية عند حدودها أو محدودات "الاسم" دون "الفعال" أو الإنتاج الواقعي "المستمر". فلا بد من ضرورة إيجاد صيغة فاعلة في بنود ميثاق الهيئة يحتم "وجود آلية تقييم سنوية" تتحدد بموجبها قائمة مصغرة لأعضاء الهيئة "الفاعلين" وبناء على نشاطهم الفكري وإنتاجهم لا بناء على "تاريخهم" ولمعان اسمهم، فسيكون من أحد أكبر مزالق الهيئة، وإن تختلف عن غيرها من عشرات الهيئات، أن تحوي أسماء "فخرية" غير فاعلة أو منتجة فكرياً. وهذه الآلية المتجددة للتأهل واستحقاق مكانها في الهيئة ليست بجديدة على العالم المتقدم الذي يعتمد "التنافس" على مقاعد محدودة بها شرف لكنها محصورة على فعل العطاء والحركة لا السكن. فسيب تقدم العالم المتطور هو "التنافس" المستمر وضمن معايير وآليات واضحة بما يجعل الفرد على الدوام منتجاً وفاعلاً ويتيح تجد العناصر المتحمسة والمعطاءة دون الوقوف بعجز وخوف أمام "أسماء صممية" توقفت منذ زمن عن العطاء النوعي وكانت مجرد حجر عثرة أمام تطور العمارة العربية والخطاب المعماري من ناحية وعقبة أمام ظهور طاقات شابة جديدة. وإن كان لهذه الهيئة أن تمارس النقد على العمارة وخطابها وأسس فكرها، فينبغي أولاً أن تكون هناك "آلية نقد ذاتي" لأسس تشكيلها والتوقع والتكلس. فإن صدئت صواميلها فلن يمكنها الحركة والتطور أو العمل بفاعلية. ومن هنا فلا بد لدى تشكيل ميثاقها من مراعاة خصيصة التطور وأن تكون عين "ميثاق الهيئة" الفاعلة بصيرة ومتفتحة على ضرورة "حركيتها" وفعالية أفرادها من أعضاء منتخبين سنوياً بحسب نظام نقاط يدخل قوماً ويخرج آخرين - ويتيح لمن دخل أن يثبت أنه أكثر نشاطاً وعطاءً ممن خرج هذه السنة، كما يتيح لمن خرج أن يشد همته ليعود للهيئة المصغرة العالمية العام القادم. وهذه الآلية ليست اجترافاً عبقرياً أو سبقاً لكاتب هذه السطور، بل هي نظام معمول به في

في نقاشنا حول الهيئة التأسيسية لهيئة النقاد العرب العالمية وضعنا في جلستنا بعض المحاور العامة، وطرحنا أسماء لمعماريين لهم باع وإسهامات متميزة على مستوى النقد المعماري والكتابة الرصينة، ومن لهم إسهامات فكرية متميزة يمكن أن يشكلوا نواة تأسيسية للمجموعة العالمية. وقدم الدكتور مشاري تصوره بضرورة احتواء الأسماء على تغطية جغرافية تشمل الوطن العربي الكبير والمعاهد العالمية التي يتواجد بها معماريون عرب متميزون ولهم إسهامات فكرية رائدة. وقد تم التواصل مع هذه النخبة العربية من المعماريين في مختلف أصقاع العالم ومنهم رواد معماريون في معاهد غربية في المغرب. ولأقت الفكرة من طرفهم قبولاً واستحساناً وحماساً يبشر بالكثير من العطاء الواعد.

وينبثق عن هيئة نقاد العمارة العربية بمؤسسيها الدكتور مشاري النعيم وكاتب هذه السطور قائمة من نخبة المعماريين العرب كأعضاء الهيئة العالمية الدائمة. ومن الأسماء الأولية المقترحة في هيئة النقاد، مثلاً لا حصر، البروفسور أشرف سلامة من جامعة قطر. والدكتور جلال عبادة وهو حاصل على دكتوراه العلوم من السوربون ويتركز مجال عمله بين ألمانيا والمملكة العربية السعودية، والدكتور هاني القحطاني من جامعة الدمام بالمملكة العربية السعودية، وله كتابات فكرية نقدية متميزة في مجال التحليل المعماري وله كتاب صدر مؤخراً عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت بعنوان "مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة: قراءة تحليلية في الشكل". والدكتور خالد السلطاني من معهد الدنمارك للعمارة، وهو كاتب وناقد معماري يكتب في الكثير من المنابر الثقافية والمجلات المعمارية المتخصصة، ومتخصص في النقد المعماري وتحليل الأعمال والممارس المعاصرة التي تغزو ساحة العمارة العربية المعاصرة.

والدكتور خالد عصفور من جامعة القاهرة وكتابات النقدية متميزة منذ التسعينيات وحاصل على إجازته العلمية من معهد ماساشوستس للتقنية، وتتميز كتاباته بالرصانة والعمق والتحليل الجاد لأسس العمارة وتقييم المحاولات الرصينة في العمارة المعاصرة كمشروع حديقة الأطفال للدكتور عبد الحليم إبراهيم بالقاهرة. وهو زميل وصديق لمعماري متميز هو المعماري محمد خالد الحاصل على شهادة الماجستير من نفس المعهد بأمريكا وموضوعها في النقد المعماري لأعمال راسم بدران وهنخ لارسن في مشروع وزارة الخارجية السعودية بالرياض ودراسته نقدية جادة في مساهمة مبدأ الاستعارات في العمارة قبل أكثر من عشرين عاماً. والدكتور خالد عزم مدير دائرة الإعلام بمكتبة الإسكندرية وهو كاتب نشط متميز في مجال العمارة العربية والتراث الفكري والأثري وله مؤلفات متعددة، والدكتور محمد الأسد وهو من أرفع الكتاب المعماريين العرب ويدير مركزاً متخصصاً للأبحاث بالأردن. والدكتور ناصر الرباط من جامعة هارفارد، والبروفسور صباح مشنت رئيس قسم العمارة بجامعة ولغرفها ميتون بانجلترا، والأستاذ

■ وللبحث في أصل فكرة ضرورة العمل العربي المعماري المشترك، فقد برزت فكرة تأسيس "اتحاد المعماريين العرب"، المظلة الأكبر للتنسيق في فضاء العمارة العربية، سواء الخليجية أو العربية، أول مرة ولأقت صدى كبيراً في مقالات متتابعة للدكتور مشاري النعيم على صفحات "الرياض" عام ٢٠٠١، كان أولها مقال بعنوان "جميعية المعماريين والمخططين بدول الخليج العربية" وفيه طرح مقارنة مهمة لم تغفل أهمية الجمعيات المحلية لكل دولة عربية، وإنما تأسيس مظلة موحدة وجامعة لها تنسق العمل الجماعي وبخاصة أن صناعة البناء في دول الخليج العربي، آنذاك ونظراً للنمو الإقتصادي والطفرة العمرانية الهائلة تعد ثاني أكبر صناعة بعد صناعة النفط. وقد طرح الدكتور النعيم مقارنته اعتماداً على تجارب مهمة وسابقة لجمعيات مماثلة منها انطلاق جمعية مهندسي الطرق الخليجين وجمعية التاريخ والآثار لدول الخليج العربي والتي احتضنتها داره الملك عبد العزيز بالرياض عقدت اجتماعها السنوي الثالث آنذاك بمسقط بسلطنة عمان. فكرة اتحاد المعماريين العرب يراها الدكتور النعيم على أنه كيان مهني فكري على غرار الإتحاد العالمي للمعماريين، ليس ككيان ذي سلطة محلية لكنه مؤتمر على مستوى العالم ودون أن يكون له أي تداخلات مع الشؤون المحلية لكل دولة كيلا ينافس في بيروقراطية تعيق عمله أو أية تداخلات سياسية، وهذا سيعطيه زخماً كبيراً في تجاوز الكثير من العقبات لتطوير فكر معماري عربي عالمي ويؤثر في صنع أطر فكرية معمارية وتخطيطية وروى مستنيرة نحو مستقبل أفضل للعمارة العربية في الأقاليم العربية والإسلامية. وقد طرحته الفكرة ونوقشت بشكل مستفيض على موقع المهندسين العرب على الرابط

eng.org/vb/t4579-2.html
(http://www.arab) في مقابلة مع كاتب هذه السطور في بيت المعماريين والحرب عام ٢٠٠٥ وأثناء الإقامة بمسقط، وللإجابة عن سؤال متعلق بفكرة إنشاء اتحاد أو هيئة للمعماريين العرب على مستوى قطري وعالمي تعقيباً على مداخلة الدكتور النعيم أثنيت بشدة على المقترح. وفي مقالة لاحقة في مجلة البناء السعودية المعمارية الرائدة عربياً، العدد ٢١٤ السنة ٢٠٠٨، كررت إشاراتي بالفكرة بضرورة إنشاء هذه الهيئة العالمية - الإتحاد العالمي للعمارة العربية - وهي الهدف الأكبر، لكن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة متواضعة. وكانت فرصة التواصل بلندن مؤخراً مع الصديق الدكتور مشاري النعيم فرصة مهمة لإعادة طرح الفكرة ورأينا ضرورة إنشاء هيئة النقاد المعماريين العرب أو دن كمحطة مفضلية عالمية مهمة وملتقى الشرق والغرب بين العقول العربية المتميزة الحبيسة في المعاهد العربية وبين العقول المهاجرة في أوروبا وأميركا.

وقد رأينا إنشاء "هيئة للنقاد العرب" ككيان منبثق عن أطر عمل مجموعة لوناورد بلندن وهي مؤسسة غير ربحية قام كاتب هذه السطور بتأسيسها منذ العام ٢٠٠٠ كمظلة أبحاث مستقلة تعنى بدراسة الفن والعمارة عموماً والعربية الإسلامية خصوصاً.